المدح في الوجه في الحديث النبوي الشريف وآثاره التربوية والاجتماعية

الدكتور محمد عيسى الشريفين

الملخص:

تناولت في هذا البحث قضية المدح في الوجه في الحديث النبوي الشريف، وجمعت إلى حد كبير الأحاديث الواردة في هذا الموضوع، وكانت متعارضة بين الإباحة والتحريم، فجمعت بين المتعارض منها، ثم خلصت - من خلال شرح الأحاديث الواردة في هذا الموضوع، ثم من خلال الرجوع إلى كتب التربية وعلم النفس القديمة منها والحديثة، ثم من خلال فهمي- إلى الآثار التربوية والإجتماعية للمدح في الوجه، راجيا التوفيق والسداد.

An Abstract

The researcher, in this research dealt with the issue of praising someone in his presence(sabime prophetic traditoin) He considerably collacted prophetic Traditions narrated on his topic.

He combined all contrstive ones and concluded the educational and social effects of praising someone in his presence, reverting to ancient and modern books of education and psychology and his own understanding.

المقدمة:

الحمد لله بجميع محامد الله ما علمت منها وما لم أعلم، على جميع آلائه ما علمت منها وما لم أعلم، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين؛ سيدنا وأسعدنا محمد ما ذكره الذاكرون الأبرار وما غفل عن ذكره الذاكرون أما بعد:

لا شك أن من أولى أولويات البحث العلمي في الدراسات الإسلامية في زماننا الحاضر، السعي نحو حسن الطرح، بغية التمكين للمفاهيم الإسلامية من النفوس، وتشكيل القناعات بشكل سليم، وأعتقد أنه لا يمكن الوصول لهذا الهدف إلا بتحليل مضامين النصوص الشرعية، واستنطاق معانيها، ثم حسن التوظيف لها، فنحن نردد كثيرا: أن الإسلام دين شامل صالح لكل زمان ومكان، ثم نكرر مثل هذه العبارات، ولكننا نقصر أيما تقصير في أمرين وهما في غاية الأهمية أولهما : حسن التدليل على ما نقول من حياة المصطفى، وثانيهما: تطبيق ما نراه صحيحا من سيرته وهديه.

هذا ومن القضايا التي استرعت انتباهي، قضية المدح في الوجه فأحببت أن يكون مجال بحثي (المدح في الوجه وآثاره التربوية والاجتماعية)، فإن للمدح في الوجه آثاراً إيجابية في حياة الإنسان، لا يمكن بحال تجاهلها وتتبع هذه الآثار من طبيعة النفس الإنسانية، ذلك أن الإنسان بفطرته يحب المدح والثناء، وسبب اختياري لهذا الموضوع؛ أن الشائع بين العامة وكثير من الخاصة أن المدح في الوجه نفاق، أو أن المدح في الوجه والنفاق وجهان لعملة واحدة، فعمدت إلى الأحاديث النبوية الصريحة الصحيحة، والمتباينة في هذا الموضوع لكي أخرج بخلاصة أنتفع بها ثم أنفع بها ثم أصل للآثار التربوية والاجتماعية للمدح في الوجه سلبا أو إيجابا راجيا التوفيق والسداد.

وقد قسمت هذا البحث إلى تمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة.

التمهيد وفيه:

١- تعريف المدح لغة واصطلاحا:

١- المدح لغة:

قال ابن فارس: الميم والدال والحاء أصلٌ صحيح يدل على وصف محاسنَ بكلام جميل ويقالُ المنقبةُ أمدوحةٌ أيضاً، والمدحُ نقيض الهجاء وهو حُسْنُ الثناء، يقالُ مَدَحْتُه مِدحَةً واحدة، ومَدَحَهُ يَمْدحُه مَدْحاً ومِدْحةً، والجمع مِدَحٌ، والمدائحُ جمع المديح من الشعر الذي يُمدحُ به.وتَمَدَّحَ الرجلُ: أي تكلَّف أن يُمْدَحَ، وفلان يتمدح إذا كان يثني على نفسه، وتَمَدَّحت خواصر الماشية أي اتسعت شبعا.

٢- المدح اصطلاحا:

قال الجرجاني:المدح: هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري قصدا.

محترزات التعريف: بالنظر في هذا التعريف نجد أن الجرجاني، اقتصر في المدح على الثناء باللسان، فيخرج، من المدح ما تستخدم فيه الإشارة أو الحركة ويدل على المدح، ثم الجميل فلا يمدح القبيح ثم قيَّد الجميل بقوله الاختياري، لأن الجميل غير الاختياري كالطول والجمال مثلاً لا يمدح لأنه ليس للإنسان فيه تخيير، أما تقييده بقوله: قصدا فأرى أنه يريد من هذا القيد أن يكون المدح مقصود الهدف والغاية.

قال النووي: مدح الإنسان هو الثناء عليه بجميل صفاته وقد يكون في حضور الممدوح وقد يكون في غير حضوره.

٣- المدح في الوجه باعتباره مركبا إضافيا:

وبعد عرض تعريف المدح لغة واصطلاحا نستطيع تعريف **المدح في الوجه باعتباره مركبا إضافيا بأنه**:الثناء على الإنسان بحضوره بصفات لغاية.

فقولنا بصفات يشمل الصفات الممدوحة سواء كانت فيه أم لم تكن، وسواء كانت جميلة أو قبيحة لأن القبيح قد يمدح عند من فسد طبعه، ثم أطلقنا الغاية ليشمل المدح المشروع وغير المشروع.

٢- ألفاظ مقاربة للمدح:

المداهنة، النفاق، التمادح، الثناء، الحمد، المداراة، التقية، الإطراء، الفخر، التزكية، التمجيد، التأبين.

الفصل الأول: الأحاديث الواردة في المدح في الوجه وفيه ثلاثة مباحث:

الأحاديث الواردة في المدح في الوجه كثيرة، وفي نفس الوقت فهي متعارضة، وتدخل في نطاق مختلف الحديث، هذا وقد كان منهجي في الأحاديث المتعارضة التوفيق بينها، وإعمال الأدلة جميعاً، ولم أجد نفسي مضطراً للترجيح بين الأدلة المختلفة ظاهراً، يقول اللكنوي: قال البَرْزَنجي: الجمع أولى من إسقاط بعض الروايات، ولا شك أنه مقدم على الترجيح مهما أمكن، وقال ابن أمير حاج: الجمع متعين عند الإمكان، إذا دار الأمر بينه وبين إهدار العمل بأحدهما بالكلية. وقد قسمت هذه الأحاديث إلى المباحث التالية:

المبحث الأول: الأحاديث الواردة في إباحة المدح في الوجه:

الثناء على الناس ومنه المدح في الوجه من مقابلة الحسنة بالحسنة، ومن شأنه أن يديم الخير لدى الناس ويشجعهم عليه، ولقد حرص النبي كل الحرص على كل ما من شأنه أن يقوي النسيج الاجتماعي، لذلك فلقد وجه المسلم في كل زمان أن يحرص على هذا السلوك، وهو مقابلة الحسنة والسيئة بالحسنة، فإذا أسدى مسلم لمسلم معروفاً فإن من السنة أن يثنى على صاحب المعروف لا لذات الثناء إنما لما ينبني على الثناء من إدامة وتنمية الخير في المجتمع المسلم، أما الأحاديث الواردة في إباحة المدح في الوجه فكثيرة، أذكر بعضها هنا _ هذا وقد أفردت الفصل الثاني

لنماذج من الأحاديث التي ورد فيها مدح في الوجه-:

الحديث الأول: أخرج مسلم في صحيحه، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنْ الْخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ قَالَ: (تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى المؤمن)

قال الإمام النووي : قال العلماء : معناه هذه البشرى المعجلة له بالخير، وهي دليل على رضى الله تعالى عنه، ومحبته له، فيحببه إلى الخلق كما سبق في الحديث، ثم يوضع له القبول في الأرض، هذا كله إذا حمده الناس من غير تعرض منه لحمدهم، وإلا فالتعرض مذموم.

قال الطيبي : معنى الحديث: أي اخبرنا بحال من يعمل صالحا لا للناس ويمدحونه، هل يبطل ثوابه؟ قال: (تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى المؤمن) يعني: هو في عمله ذلك ليس مرائيا، فيعطيه الله ثوابين: في الدنيا وهو حمد الناس له، وفي الآخرة ما أعد الله له.

قال الأُبّيّ : وجعلت بشرى من حيث إن ذلك عنوان الخير ودليل رضى الله سبحانه وتعالى، وهذا إذا كان مدح الناس له من غير طلب ولا تعرض فإن ذلك رياء، قلت: -أي المصنف- سئل مالك عمن يحب أن يراه الناس في طريق المسجد ويكره أن يرى في طريق السوق.قال: إن كان عمله لله فلا بأس به، وكرهه ربيعة.

الحديث الثاني: أخرج الترمذي في سننه، عَنْ جَابِرٍ عَنْ النَّبِيِّ قَالَ: (مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَوَجَدَ فَلْيَجْزِ بِهِ وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُثْنِ فَإِنَّ مَنْ أَثْنَى فَقَدْ شَكَرَ وَمَنْ كَتَمَ فَقَدْ كَفَرَ وَمَنْ تَحَلَّى بِمَا لَمْ يُعْطَهُ كَانَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ) قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وَمَعْنَى قَوْلِهِ: وَمَنْ كَتَمَ فَقَدْ كَفَرَ يَقُول: قَدْ كَفَرَ تِلْكَ النِّعْمَةَ

في هذا الحديث يأمر النبي المؤمن بأنه إذا قدم له عطاء سواء كان هذا العطاء هدية أو مساعدة أو صدقة، أن يقابل هذا العطاء بعطاء إن استطاع، وإن لم يستطع فعليه أن يقابل هذا العطاء بالثناء على المعطي، ويدخل في الثناء على المعطي المدح في الوجه.

قال المباركفوري : قوله : (فليُثن) بضم الياء أي عليه، وفي رواية به أي: فليمدحه أو فليدع له (فإن من أثنى فقد شكر) ؛ أي جازاه في الجملة، قال المناوي في التيسير : إسناده صحيح.

الحديث الثالث: أخرج الترمذي في سننه، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ الْمَدِينَةَ أَتَاهُ الْمُهَاجِرُونَ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَا رَأَيْنَا قَوْمًا أَبْذَلَ مِنْ كَثِيرٍ وَلَا أَحْسَنَ مُوَاسَاةً مِنْ قَلِيلٍ مِنْ قَوْمٍ نَزَلْنَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ لَقَدْ كَفَوْنَا الْمُؤْنَةَ وَأَشْرَكُونَا فِي الْمَهْنَأِ حَتَّى لَقَدْ خِفْنَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالْأَجْرِ كُلِّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ :(لَا، مَا دَعَوْتُمْ اللَّهَ لَهُمْ وَأَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ

قال المباركفوري : (فقال النبي) أي: لا يذهبون بكل الأجر؛ فإن فضل الله واسع، فلكم ثواب العبادة ولهم أجر المساعدة (ما دعوتم الله لهم وأثنيتم عليهم) أي: ما دمتم تدعون لهم بخير فإن دعاءكم يقوم بحسناتهم إليكم وثواب حسناتكم راجع عليكم. وقال : قال الطيبي رحمه الله : يعني إذا حملوا المشقة والتعب على أنفسهم وأشركونا في الراحة والمهنأ فقد أحرزوا المثوبات. فكيف نجازيهم ؟ فأجاب لا . أي: ليس الأمر كما زعمتم فإنكم إذا أثنيتم عليهم شكرا لصنيعهم ودمتم عليه فقد جازيتموه.

الحديث الرابع: أخرج الترمذي في سننه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّجُلُ يَعْمَلُ الْعَمَلَ فَيُسِرُّهُ فَإِذَا اطُّلِعَ عَلَيْهِ أَعْجَبَهُ ذَلِك؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَهُ أَجْرَانِ أَجْرُ السِّرِّ وَأَجْرُ الْعَلَانِيَةِ) قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، قَالَ أَبُو عِيسَى: وَقَدْ فَسَّرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ هَذَا الْحَدِيثَ فَقَالَ: إِذَا اطُّلِعَ عَلَيْهِ فَأَعْجَبَهُ فَإِنَّمَا مَعْنَاهُ أَنْ يُعْجِبَهُ ثَنَاءُ النَّاسِ عَلَيْهِ بِالْخَيْرِ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ فَيُعْجِبُهُ ثَنَاءُ النَّاسِ عَلَيْهِ لِهَذَا لِمَا يَرْجُو بِثَنَاءِ النَّاسِ عَلَيْهِ فَأَمَّا إِذَا أَعْجَبَهُ لِيَعْلَمَ النَّاسُ مِنْهُ الْخَيْرَ لِيُكْرَمَ عَلَى ذَلِكَ وَيُعَظَّمَ عَلَيْهِ فَهَذَا رِيَاءٌ وَ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِذَا اطُّلِعَ عَلَيْهِ فَأَعْجَبَهُ

قال المباركفوري : (أجر السر) أي لإخلاصه (وأجره العلانية) أي للاقتداء به أو لفرحه بالطاعة وظهورها منه. قوله : (وقال بعض أهل العلم إذا اطلع عليه فأعجبه رجاء أن يعمل بعمله فتكون له مثل أجورهم) وهذا معنى قوله : " من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها ".

المبحث الثاني: الأحاديث الواردة في النهي عن المدح في الوجه:

وردت أحاديث كثيرة تنهى عن المدح في الوجه، هذا وقد بوب البخاري بقوله: بَاب مَا يُكْرَهُ مِنْ الإِطْنَابِ فِي الْمَدْحِ وَلْيَقُلْ مَا يَعْلَمُ والأحاديث الواردة في النهي عن المدح في الوجه كثيرة أذكر منها:

الحديث الأول: أخرج البخاري في صحيحه، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أنه سَمِعَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ يَقُولُ: (لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ)

قال ابن حجر : قوله : (لا تطروني) بضم أوله، والإطراء المدح بالباطل تقول أطريت فلانا مدحته فأفرطت في مدحه. قوله : (كما أطرت النصارى ابن مريم) أي في دعواهم فيه الإلهية وغير ذلك.

قال الطيبي : الإطراء مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه، وفي العدول عن عيسى والمسيح على ابن مريم تبعيد له عن الإلهية، ثم أرشدهم إلى غاية مدحه الا يتجاوز عن كونه عبدا لله ورسوله.

الحديث الثاني: أخرج البخاري في صحيحه، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَثْنَى رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ فَقَالَ: وَيْلَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ مِرَارًا ثُمَّ قَالَ: مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ لاَ مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ أَحْسِبُ فُلاَنًا وَاللَّهُ حَسِيبُهُ وَلاَ أُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا أَحْسِبُهُ كَذَا وَكَذَا إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ

قال ابن بطال : قال المهلب: وإنما قال هذا _والله أعلم- لئلا يفتر الرجل بكثرة المدح، ويرى أنه عند الناس بتلك المنزلة، فيترك الإزدياد من الخير ويجد الشيطان له سبيلا، ويوهمه في نفسه حتى يضيع التواضع منه، وكان السلف يقولون: إذا أثني على أحدهم: (اللهم اغفر لنا مالا يعلمون واجعلنا خيراً مما يظنون).وقال يحيى بن معاذ : العاقل لا يدعه ما ستر الله عليه من عيوبه بأن يفرح بما أظهره من محاسنه.

الحديث الثالث: أخرج مسلم في صحيحه، عَنْ هَمَّام قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ فَأَثْنَى عَلَى عُثْمَانَ فِي وَجْهِهِ فَأَخَذَ الْمِقْدَادُ ابْنُ الْأَسْوَدِ تُرَابًا فَحَثَا فِي وَجْهِهِ وَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ إِذَا لَقِيتُمْ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمْ التُّرَابَ

قال الطيبي : ويحتمل أن يراد رفعه عنه وقطع لسانه عن عرضه بما يرضيه من الرضخ، والدافع قد يدفع خصمه بحثي التراب على وجهه استهانة به. وقد ضبط العلماء المبالغة الجائزة من المبالغة الممنوعة بأن الجائزة يصحبها شرط أو تقريب، والممنوعة بخلافها، ويستثنى من ذلك ما جاء عن المعصوم فإنه لا يحتاج إلى قيد كالألفاظ التي وصف النبي بها بعض الصحابة مثل قوله لابن عمرو " نعم العبد عبد الله " وغير ذلك، قال ابن عيينة : من عرف نفسه لم يضره المدح.

قال ابن حجر : وللعلماء فيه-أي في هذا الحديث- خمسة أقوال : أحدها: هذا، وهو حمله على ظاهره، والثاني: الخيبة والحرمان كقولهم لمن رجع خائبا رجع وكفه مملوءة ترابا. والثالث: قولوا له بفيك التراب، والعرب تستعمل ذلك لمن تكره قوله. والرابع: أن ذلك يتعلق بالممدوح كأن يأخذ ترابا فيبذره بين يديه يتذكر بذلك مصيره إليه فلا يطغى بالمدح الذي سمعه . والخامس: المراد بحثو التراب في وجه المادح إعطاؤه ما طلب لأن كل الذي فوق التراب تراب، وبهذا جزم البيضاوي

وقال : شبه الإعطاء بالحثي على سبيل الترشيح والمبالغة في التقليل والاستهانة.

قال محمد شمس الحق العظيم آبادي: (إذا لقيتم المداحين) : قال الخطابي : المداحون هم الذين اتخذوا مدح الناس عادة وجعلوه بضاعة يستأكلون به الممدوح ويفتتونه، فأما من مدح الرجل على الفعل الحسن ترغيبا له في أمثاله وتحريضا للناس على الاقتداء به في أشباهه، فليس بمداح.

الحديث الرابع: أخرج أبو داود في سننه، عَنْ مُطَرِّف قَالَ: قَالَ أَبِي: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا فَقَالَ: السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا فَقَالَ: قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ قلت: حديث صحيح، رجاله ثقات.

قال العظيم آبادي : (وأفضلنا فضلا) : أي مزية ومرتبة ونصبه على التمييز (وأعظمنا طولا) : أي عطاء الأحباء وعلوا على الأعداء (فقال قولوا بقولكم) : أي مجموع ما قلتم أو هذا القول ونحوه، (أو بعض قولكم) : أي اقتصروا على إحدى الكلمتين من غير حاجة إلى المبالغة بهما. (ولا يستجرينكم الشيطان) : أي لا يغلبنكم فيتخذكم جريا أي رسولا ووكيلا، وذلك أنهم كانوا مدحوه فكره لهم المبالغة في المدح فنهاهم عنه.

الحديث الخامس: أخرج أحمد في مسنده، عن مُعَاوِيَةَ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ هَذَا الْمَالَ حُلْوٌ خَضِرٌ فَمَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ بَارِكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ فِيهِ وَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَإِيَّاكُمْ وَالْمَدْحَ فَإِنَّهُ الذَّبْحُ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ قَالَ فِيهِ وَإِيَّاكُمْ وَالتَّمَادُحَ فَإِنَّهُ الذَّبْحُ قلت: هذا حديث صحيح.

المبحث الثالث: الجمع بين أحاديث الإباحة والنهي:

من خلال النظر في الأحاديث التي تجيز المدح في الوجه، والأحاديث التي تنهى عنه، نستطيع التوفيق والجمع بين هذه الأحاديث، حيث إن الأحاديث التي تجيز المدح تجيزه بشروط وضوابط، والأحاديث التي تنهى عن المدح في الوجه تنهى عنه لأسباب، قال أبو جعفر الطبري: - بعد أن ساق الروايات الواردة في الثناء على من صنع معروفا- وفيه أيضاً الدلالة البينة على أن المدحة التي نهى عنها النبي ، وقال (إياكم والتمادح فإنه الذبح)غير مدحة الرجل الرجلَ بما فيه من خلائقه الجميلة وأفعاله الحميدة التي هو بها معروف، وعند الناس بها مشهور، وأن ذلك أي الخبر إنما هو مدحته بباطل، وبما المادح فيه كاذب، او مدحه في وجهه أو بحيث يسمعه بغير الذي هو به معروف، وذلك أن النبي لم ينكر ثناء المثني عليه بما كان أولاه من جميل الفعل بل استحسن من المثني ذلك، واستقبح ما كان من فعل المخفي ما كان أسدي إليه من المعروف....، ولو كان غير جائز مدح من يستحق المدح بجميل أفعاله وكريم أخلاقه، لكان قد استنكر فعل المثني عليه على إعطائه، واستحسن فعل كاتم إحسانه إليه، وفي استحسانه ثناء المثني، وتركه النهي عنه واستقباحه كتمان الكاتم وإنكاره عليه ذلك من فعله البيان البين أن الصحيح من القول هو ما قلنا، من جواز ما أجزنا، وكراهة ما كرهنا في ذلك.

ثم قال بعد إيراده روايات حديث حثو التراب: إن معاني هذه الأخبار ماقلنا، ولم يخرج شيء فيها على ما وصفنا ؛وذلك أنه غير جائز أن يقول النبي أقوالا متضادة وإنما يكون في أخباره الخصوص والعموم، والمجمل والمفسر، والناسخ والمنسوخ، على ما قد بينا في سائر كتبنا، وإذا كان ذلك كذلك، وكان صحيحا عنه الخبر بالنهي عن المدح، وثابتاً عنه الندب إليه والأمر به، علم أن مما أمر به من ذلك أو ندب إليه، غير الذي نهى عنه وحظره، أو كرهه وأنكره، وإذا كان ذلك كذلك صح الذي قلنا فيما ورد من الأخبار التي ذكرناها.

من خلال كلام الطبري وكلام غيره من الشراح أورد التوفيق بين الأحاديث وعلى شكل نقاط على النحو التالي:

١- أن المدح في الوجه المنهي عنه هو المدح الذي يوصل الممدوح لدرجة الاتكال على ما وصف به وتضييع العمل.

قال ابن حجر : قال ابن بطال : فربما ضيع العمل (أي من أفرط في مدحه) والازدياد من الخير اتكالا على ما وصف به.

فإذا ما أدى المدح في الوجه إلى أن يتكل الممدوح على ما وصف به، وأن يضيع عمله فالمدح في الوجه حرام وإلا فهو مباح، والتمييز هنا من

المدوح العجب لظنه أنه به
ما معنى ما جاء في الحديث الآتي من
لمدح في الوجه في مثل هذه الحالة بأنه ذبح، أما

جنب سلوك نهى عنه الشارع، أما أن يُمدح إنسان في وجهه
وفق ما أمر به الشارع فلا بأس به، حتى لو كان هذا المدح في
ي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلاً يُثْنِي عَلَى رَجُلٍ وَيُطْرِيهِ فِي مَدْحِهِ فَقَالَ

لمدح في حدود النهي، وهنا أذكر: بأن المبالغة في المدح جائزة بضوابط أيضا،
سًا عِنْدَ النَّبِيِّ إِذْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْجُمُعَةِ فَلَمَّا قَرَأَ : (وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا
سَأَلَهُ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا قَالَ: وَفِينَا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ قَالَ: فَوَضَعَ النَّبِيُّ صَلَّ
رِيًّا لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ هَؤُلاءِ. هذا وقد عقب النووي على هذا الحديث فقال: فيه

ثاره السلبية أكثر من آثاره الإيجابية، فإذا وصل المدح في الوجه إلى درجة الإط
و مدح منهي عنه، أما إذا لم يصل إلى هذه الدرجة فلا إشكال فيه.
ان. ودليل ذلك (قَالَ : قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ)
رسوس لإنسان أن يمدح صالحا: ثم لا يزال به حتى يوصله إلى الكفر والعياذ با
سأل الله العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة، أما إ
ع تمييز ذلك.

ا أو مدحهم بما ليس فيهم.

جما فيه، ومدح الإنسان بما ليس فيه زيادة على أنه تقوّل، فهو لا يؤدي الآثار المر
على مدح الناس له حتى يصل إلى درجة أنه يعتقد أن جميع الصفات التي يمد
هذا العنصر في المدح فهو مدح منهي عنه لا يجوز، أما مدح الناس بما فيهم فلا
: أما إذا كان المدح للتملق وإسناد الأعمال إلى غير أربابها فإنه مجلبة الطغيا
والسحت والكذب، لأن المادح يضطر إلى الإفراط وقول غير الحق، والى إظهار
اسقاً، أو ظالماً، وهذا غير جائز.

جاً: من يقوم به صاحبه ابتغاء منفعة دنيوية.

قال العظيم آبادي : قال الخطابي : المداحون هم الذين اتخذوا مدح الناس عاد
رجل على الفعل الحسن ترغيبا له في أمثاله وتحريضا للناس على الاقتداء به
بالنظر إلى الهدف من المدح في الوجه نجد أن المدح في الوجه يقصد من
من المدح منفعة دنيوية بحتة فقد خرج المدح عن الهدف المشروع، وهو في

٤- أن المدح المنهي عنه هو مدح من يتعرض للمدح.

بعض الناس يتمدح؛ أي يتعرض للمدح وهذا لا يجوز، فإذا ما
هذا الخلق فيه دليل على خلل كبير، إذ الأصل بالمؤمن أن
الذي لا يتمدح فلا نهي عن ذلك.

انياً: نماذج من الأحاديث التي ور

انتهى إلى خمسة مباحث وهي
التي مدح فيها ر

أخرج البخاري في صحيحه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ أَوْ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ لَوْ أَنَّ الْأَنْصَارَ سَلَكُوا وَادِيًا أَوْ شِعْبًا لَسَلَكْتُ فِي وَادِي الْأَنْصَارِ وَلَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ مَا ظَلَمَ بِأَبِي وَأُمِّي آوَوْهُ وَنَصَرُوهُ أَوْ كَلِمَةً أُخْرَى قال ابن حجر: قال الخطابي: أراد بذلك استطابة قلوب الأنصار حيث رضي أن يكون واحدا منهم.

ثانياً: مدحه بني النجار:

أخرج البخاري في صحيحه، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ خَيْرُ دُورِ الْأَنْصَارِ بَنُو النَّجَّارِ ثُمَّ بَنُو عَبْدِ الْأَشْهَلِ ثُمَّ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ خَزْرَجٍ ثُمَّ بَنُو سَاعِدَةَ وَفِي كُلِّ دُورِ الْأَنْصَارِ خَيْرٌ فَقَالَ: سَعْدٌ مَا أَرَى النَّبِيَّ إِلاَّ قَدْ فَضَّلَ عَلَيْنَا فَقِيلَ قَدْ فَضَّلَكُمْ عَلَى كَثِيرٍ

ثالثاً: مدحه الأشعريين:

الحديث الأول: أخرج أحمد في مسنده، عَنْ عَامِرِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ الْأَشْعَرِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ النَّبِيِّ قَالَ نِعْمَ الْحَيُّ الْأُسْدُ وَالْأَشْعَرِيُّونَ لَا يَفِرُّونَ فِي الْقِتَالِ وَلَا يَغُلُّونَ هُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ قَالَ عَامِرٌ فَحَدَّثْتُ بِهِ مُعَاوِيَةَ فَقَالَ لَيْسَ هَكَذَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَكِنَّهُ قَالَ هُمْ مِنِّي وَإِلَيَّ فَقَالَ لَيْسَ هَكَذَا حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَكِنَّهُ قَالَ هُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ قَالَ فَأَنْتَ إِذًا أَعْلَمُ بِحَدِيثِ أَبِيكَ قَالَ عَبْد اللَّهِ: هَذَا مِنْ أَجْوَدِ الْحَدِيثِ مَا رَوَاهُ إِلاَّ جَرِيرٌ

قال المباركفوري: قوله : " هم مني " أي متصلون بي. وقال النووي: معناه المبالغة في اتحاد طريقهما واتفاقهما في طاعة الله تعالى.

الحديث الثاني: أخرج البخاري في صحيحه، عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ إِنِّي لَأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ الْأَشْعَرِيِّينَ بِالْقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ وَمِنْهُمْ حَكِيمٌ إِذَا لَقِيَ الْخَيْلَ أَوْ قَالَ الْعَدُوَّ قَالَ لَهُمْ إِنَّ أَصْحَابِي يَأْمُرُونَكُمْ أَنْ تَنْظُرُوهُمْ

قال ابن حجر: (بالقرآن) يتعلق بأصوات، وفيه أن رفع الصوت بالقرآن بالليل مستحسن، إذا لم يؤذ أحدا وأمن من الرياء . قوله : (قال لهما إن أصحابي يأمرونكم أن تنظروهم) أي تنتظروهم من الانتظار ومعناه أنه لفرط شجاعته كان لا يفر من العدو بل يواجههم ويقول لهم إذا أرادوا الانصراف مثلا انتظروا الفرسان حتى يأتوكم، ليثبتهم على القتال وهذا بالنسبة إلى الشق الثاني وهو قوله : " أو قال العدو " وأما على الشق الأول وهو قوله : " إذا لقي الخيل " فيحتمل أن يريد بها خيل المسلمين، ويشير بذلك إلى أن أصحابه كانوا رجالة فكان هو يأمر الفرسان أن ينتظروهم ليسيروا إلى العدو جميعا، وهذا أشبه بالصواب.

رابعاً: مدحه جُهَيْنَةُ وَمُزَيْنَةُ وَأَسْلَمُ وَأَشْجَعُ وَغِفَارُ:

أخرج البخاري في صحيحه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قال رَسُولُ اللَّهِ قُرَيْشٌ وَالْأَنْصَارُ وَجُهَيْنَةُ وَمُزَيْنَةُ وَأَسْلَمُ وَأَشْجَعُ وَغِفَارُ مَوَالِيَّ لَيْسَ لَهُمْ مَوْلًى دُونَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ

قال ابن حجر : قوله : (مواليَّ) بتشديد التحتانية إضافة إلى النبي أي أنصاري، وهذا هو المناسب هنا وإن كان للموالي عدة معان، ويروى بتخفيف التحتانية والمضاف محذوف أي موالي الله ورسوله ، ويدل عليه قوله : " ليس لهم مولى دون الله ورسوله " وهذه فضيلة ظاهرة لهؤلاء القبائل، والمراد من آمن منهم، والشرف يحصل للشيء إذا حصل لبعضه.

المبحث الثاني: مدحه رجالا بأعيانهم.

أولاً: مدحه أبو بكر الصديق

الحديث الأول: أخرج البخاري في صحيحه، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: خَطَبَ النَّبِيُّ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي مَا يُبْكِي هَذَا الشَّيْخَ إِنْ يَكُنْ اللَّهُ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ هُوَ الْعَبْدَ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا قَالَ يَا أَبَا بَكْرٍ لَا تَبْكِ إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ لَا يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلاَّ سُدَّ إِلاَّ بَابُ أَبِي بَكْرٍ

قال النووي : (إن أمن الناس علي في ماله وصحبته أبو بكر) قال العلماء : معناه أكثرهم جودا وسماحة لنا بنفسه وماله، وليس هو من المن الذي هو الاعتداد بالصنيعة ; لأنه أذى مبطل للثواب، ولأن المنة لله ولرسوله في قبول ذلك، (لا تبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر) الخوخة بفتح الخاء، وهي الباب الصغير بين البيتين. أو الدارين، ونحوه. وفيه فضيلة وخصيصة ظاهرة لأبي بكر .

قال ابن حجر : وبين حديث ابن عباس أيضا أن ذلك كان في مرض موته ,وذلك لما أمر أبا بكر أن يصلي بالناس، فلذلك استثنى خوخته بخلاف غيره، وقد قيل : إن ذلك من جملة الإشارات إلى استخلافه كما سيأتي أيضا.

الحديث الثاني: أخرج البخاري في صحيحه، عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ حِينَ ذَكَرَ فِي الْإِزَارِ مَا ذَكَرَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ إِزَارِي يَسْقُطُ مِنْ أَحَدِ شِقَّيْهِ قَالَ إِنَّكَ لَسْتَ مِنْهُمْ

قال ابن حجر : وفي لفظ " إنك لست ممن يفعل ذلك خيلاء " وهذا من جملة المدح، لكنه لما كان صدقا محضا وكان الممدوح يؤمن معه الإعجاب والكبر مدح به، ولا يدخل ذلك في المنع، ومن جملة ذلك الأحاديث المتقدمة في مناقب الصحابة ووصف كل واحد منهم بما وصف به من الأوصاف الجميلة كقوله صلى الله عليه وسلم لعمر : " ما لقيك الشيطان سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك " وقوله للأنصاري " عجب الله من صنعكما " وغير ذلك من الأخبار.

ثانياً: مدحه عمر بن الخطاب

أخرج البخاري في صحيحه، عن سَعْد بْن أَبي وَقَّاص أَنَّ أَبَاهُ سَعْدَ بْنَ أَبي وَقَّاص قَالَ: اسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَى رَسُول اللَّه وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ منْ قُرَيْش يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ قُمْنَ يَبْتَدِرْنَ الحجَابَ فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّه وَرَسُولُ اللَّه يَضْحَكُ فَقَالَ عُمَرُ أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّه قَالَ: عَجِبْتُ منْ هَؤُلاَء اللاتي كُنَّ عِنْدِي فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الحجَابَ قَالَ عُمَرُ فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّه كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ يَهَبْنَ ثُمَّ قَالَ أَيْ عَدُوَّات أَنْفُسهنَّ أَتَهَبْنَنِي وَلاَ تَهَبْنَ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قُلْنَ نَعَمْ أَنْتَ أَفَظُّ وَأَغْلَظُ منْ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ رَسُولُ اللَّه وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إلاَّ سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ

قال ابن حجر : فيه فضيلة عظيمة لعمر تقتضي أن الشيطان لا سبيل له عليه، وهذا دال على صلابته في الدين، واستمرار حاله على الجد الصرف والحق المحض.

قلت: وفي هذا الحديث مدح ظاهر من رسول الله لعمر بن الخطاب في وجهه، والمدح هنا لشدة إيمان عمر ، وأنه لا يخشى في الله لومة لائم.

ثالثاً: مدحه عمار

الحديث الأول: أخرج البخاري في صحيحه، عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاس وَلابْنِه عَلِيٍّ انْطَلِقَا إِلَى أَبِي سَعِيد فَاسْمَعَا منْ حَدِيثِه فَأَتَيْنَاهُ وَهُوَ وَأَخُوهُ فِي حَائِط لَهُمَا يَسْقِيَانِه فَلَمَّا رَآنَا جَاءَ فَاحْتَبَى وَجَلَسَ فَقَالَ كُنَّا نَنْقُلُ لَبِنَ الْمَسْجِد لَبِنَةً لَبِنَةً وَكَانَ عَمَّارٌ يَنْقُلُ لَبِنَتَيْن لَبِنَتَيْن فَمَرَّ بِه النَّبِيُّ وَمَسَحَ عَنْ رَأْسِه الْغُبَارَ وَقَالَ وَيْحَ عَمَّار تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ عَمَّارٌ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّه وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّار

قال ابن حجر : فيه إكرام العامل في سبيل الله والإحسان إليه بالفعل والقول. (ويح عمار) هي كلمة رحمة، وهي بفتح الحاء إذا أضيفت، فإن لم تضف جاز الرفع والنصب مع التنوين فيهما .

قلت: في هذا الحديث مدح ظاهر لعمار بن ياسر، حيث مدحه بأنه يدعو إلى الجنة أي أنه يدعو إلى الحق.

الحديث الثاني: أخرج الترمذي في سننه، عَنْ عَلِيٍّ قَالَ جَاءَ عَمَّارٌ يَسْتَأْذِنُ عَلَى النَّبِيِّ فَقَالَ ائْذَنُوا لَهُ مَرْحَبًا بِالطَّيِّبِ الْمُطَيَّبِ قَالَ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

قال المباركفوري: قوله : " مرحبا بالطيب المطيب " يقال مرحبا به أي أصاب رحبا وسعة وكنى بذلك عن الانشراح، والمراد بالطيب المطيب الطاهر المطهر وفيه مبالغة.

قلت: في هذا الحديث مدح من رسول الله لعمار بن ياسرحيث وصفه النبي بالطاهر المطهر.

رابعاً: مدحه الزبير بن العوام

أخرج البخاري في صحيحه، عَنْ جَابِر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ يَوْمَ الأَحْزَابِ قَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ قَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا فَقَالَ النَّبِيُّ :إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ

قال ابن حجر : فيه منقبة للزبير وقوة قلبه وصحة يقينه، وفيه جواز سفر الرجل وحده، وأن النهي في السفر وحده إنما هو حيث لا تدعو الحاجة إلى ذلك.

خامساً: مدحه سلمان الفارسي

الحديث الثاني: أخرج البخاري في صحيحه، عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ إِذْ نَزَلَتْ عَلَيْه سُورَةُ الجُمُعَة فَلَمَّا قَرَأَ(وَآخَرِينَ منْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بهمْ) قَالَ رَجُلٌ مَنْ هَؤُلاَء يَا رَسُولَ اللَّه فَلَمْ يُرَاجِعْهُ النَّبِيُّ حَتَّى سَأَلَهُ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْن أَوْ ثَلاثًا قَالَ وَفِينَا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ قَالَ فَوَضَعَ النَّبِيُّ يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ ثُمَّ قَالَ لَوْ كَانَ الإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ منْ هَؤُلاَء

قال النووي : فيه فضيلة ظاهرة لهم وجواز استعمال المجاز والمبالغة في مواضعها.

سادساً: مدحه لأشج عبد القيس

أخرج أبو داود في سننه، عن زَارِع وَكَانَ فِي وَفْد عَبْد الْقَيْس قَالَ لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَجَعَلْنَا نَتَبَادَرُ منْ رَوَاحِلنَا فَنُقَبِّلُ يَدَ النَّبِيِّ وَرِجْلَهُ قَالَ وَانْتَظَرَ الْمُنْذِرُ الأَشَجُّ حَتَّى أَتَى عَيْبَتَهُ فَلَبِسَ ثَوْبَيْه ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ فَقَالَ لَهُ إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْن يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّه أَنَا أَتَخَلَّقُ بهمَا أَمْ اللَّهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا قَالَ بَلْ اللَّهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا قَالَ الْحَمْدُ لِلَّه الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلَّتَيْن يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ قلت: حسن بهذا السند فيه أم ابان بنت الوازع مقبولة، وقد أورده الإمام أحمد بسند صحيح.

قال النووي: أما الأشج فاسمه المنذر بن عائذ، وأما الحلم فهو العقل، وأما الأناة فهي التثبيت وترك العجلة. قال النووي نقلاً عن القاضي عياض : فالأناة تربصه حتى نظر في مصالحه ولم يعجل، والحلم هذا القول الذي قاله الدال على صحة عقله، وجودة نظره للعواقب.

المبحث الثالث: مدحه للنساء بأعيانهن.

أولاً: مدحه فاطمة الزهراء رضي الله عنها.

أخرج البخاري في صحيحه، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مَشْيُ النَّبِيِّ فَقَالَ النَّبِيُّ مَرْحَبًا بِابْنَتِي ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِه أَوْ عَنْ شِمَالِه ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَبَكَتْ فَقُلْتُ لَهَا لِمَ تَبْكِينَ ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَضَحِكَتْ فَقُلْتُ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْم فَرَحًا أَقْرَبَ منْ

حُزْن فَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ فَقَالَتْ مَا كُنْتُ لأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ فَسَأَلْتُهَا فَقَالَتْ أَسَرَّ إِلَيَّ إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً وَإِنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ وَلاَ أُرَاهُ إِلاَّ حَضَرَ أَجَلِي وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لحَاقًا بِي فَبَكَيْتُ فَقَالَ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ

ثانياً: مدحه صفية رضي الله عنها.

أخرج الترمذي في سننه، عَنْ أَنَسٍ قَالَ بَلَغَ صَفِيَّةَ أَنَّ حَفْصَةَ قَالَتْ بِنْتُ يَهُودِيٍّ فَبَكَتْ فَدَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ وَهِيَ تَبْكِي فَقَالَ مَا يُبْكِيكِ فَقَالَتْ قَالَتْ لِي حَفْصَةُ إِنِّي بِنْتُ يَهُودِيٍّ فَقَالَ النَّبِيُّ إِنَّكِ لابْنَةُ نَبِيٍّ وَإِنَّ عَمَّكِ لَنَبِيٌّ وَإِنَّكِ لَتَحْتَ نَبِيٍّ فَفِيمَ تَفْخَرُ عَلَيْكِ ثُمَّ قَالَ اتَّقِي اللَّهَ يَا حَفْصَةُ قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ

المبحث الرابع: مدحه للأطفال.

الحديث الأول: أخرج البخاري في صحيحه، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ أَخْرَجَ النَّبِيُّ ذَاتَ يَوْمٍ الْحَسَنَ فَصَعِدَ بِهِ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ

الحديث الثاني: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَتْ أُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ خَادِمُكَ أَنَسٌ ادْعُ اللَّهَ لَهُ قَالَ اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ

الحديث الثالث: أخرج البخاري في صحيحه، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ دَخَلَ الْخَلاءَ فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءًا قَالَ مَنْ وَضَعَ هَذَا فَأُخْبِرَ فَقَالَ اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ

قال النووي : قوله صلى الله عليه وسلم في ابن عباس : (اللهم فقهه) فيه فضيلة الفقه، واستحباب الدعاء بظهر الغيب، واستحباب الدعاء لمن عمل عملا خيرا مع الإنسان، وفيه إجابة دعاء النبي له، فكان من الفقه بالمحل الأعلى.

الحديث الرابع: أخرج البخاري في صحيحه، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حَدَّثَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُهُ وَالْحَسَنَ فَيَقُولُ اللَّهُمَّ أَحِبَّهُمَا فَإِنِّي أُحِبُّهُمَا ولا شك من أن الدعاء يدخل في جملة المدح في الوجه.

المبحث الخامس: مدح الصحابة رسول الله في وجهه.

الحديث الأول: أخرج البخاري في صحيحه، عن عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ قَالَتْ كَانَ أَوَّلَ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ.... قَالَ لِخَدِيجَةَ أَيْ خَدِيجَةُ مَا لِي لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي فَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ قَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ لاَ يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ.....

قال النووي : قال العلماء رضي الله عنهم : معنى كلام خديجة رضي الله عنها أنك لا يصيبك مكروه لما جعل الله فيك من مكارم الأخلاق وكرم الشمائل. وذكرت ضروبا من ذلك وفي هذا دلالة على أن مكارم الأخلاق وخصال الخير سبب السلامة من مصارع السوء. وفيه مدح الإنسان في وجهه في بعض الأحوال لمصلحة. وفيه تأنيس من حصلت له مخافة من أمر وتبشيره وذكر أسباب السلامة له.

الحديث الثاني: أخرج البخاري في صحيحه، عن الْهَيْثَمُ بْنُ أَبِي سِنَانٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ وَهُوَ يَقُصُّ فِي قَصَصِهِ وَهُوَ يَذْكُرُ رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَخًا لَكُمْ لاَ يَقُولُ الرَّفَثَ يَعْنِي بِذَلِكَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ

وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ يَتْلُو كِتَابَهُ إِذَا انْشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنْ الْفَجْرِ سَاطِعُ

أَرَانَا الْهُدَى بَعْدَ الْعَمَى فَقُلُوبُنَا بِهِ مُوقِنَاتٌ أَنَّ مَا قَالَ وَاقِعُ

يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بِالْمُشْرِكِينَ الْمَضَاجِعُ

قال ابن حجر : قال الكرماني : في البيت الأول إشارة إلى علمه، وفي الثالث إلى عمله، وفي الثاني إلى تكميله غيره فهو كامل مكمل.

الحديث الثالث: أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ أَنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ لَمَّا أَتَوْا نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا يَا نَبِيَّ اللَّهِ جَعَلَنَا اللَّهُ فِدَاءَكَ مَاذَا يَصْلُحُ لَنَا مِنْ الأُشْرِبَةِ فَقَالَ لاَ تَشْرَبُوا فِي النَّقِيرِ قَالُوا يَا نَبِيَّ اللَّهِ جَعَلَنَا اللَّهُ فِدَاءَكَ أَوَ تَدْرِي مَا النَّقِيرُ قَالَ نَعَمْ الْجِذْعُ يُنْقَرُ وَسَطُهُ وَلاَ فِي الدُّبَّاءِ وَلاَ فِي الْحَنْتَمَةِ وَعَلَيْكُمْ بِالْمُوكَى

موضع الشاهد في هذا الحديث هو قول وفد عبد القيس للنبي : جَعَلَنَا اللَّهُ فِدَاءَكَ

قال النووي : وفيه جواز الثناء على الإنسان في وجهه إذا لم يخف عليه فتنة إعجاب ونحوه. وأما استحبابه فيختلف بحسب الأحوال والأشخاص. وأما النهي عن المدح في الوجه فهو في حق من يخاف عليه الفتنة بما ذكرناه، وقد مدح النبي صلى الله عليه وسلم في مواضع كثيرة في الوجه.

الفصل الثالث: محل المدح وضوابطه الشرعية والفرق بينه وبين غيره من المسميات.

١- محل المدح في الحديث النبوي الشريف:

وأقصد بمحل المدح الصفات الممدوحة، والناظر في الأحاديث الشريفة المعروضة يلاحظ أن الصفات الممدوحة كثيرة، كما يلاحظ أن هذه الصفات يقوم عليها صلاح أمر الدنيا والآخرة، والأصل بالإنسان الملتزم بما أراد الله تعالى أنه إنسان إيجابي يحرص على إعمار هذه

الحياة الدنيا كما أراد الله وكذلك الحياة الأخرى، وأنا أذكر هنا هذه الصفات منفردة بهذا الشكل لسببين، الأول: أن هذه الصفات ذكرت على لسان النبي، أو على لسان صحابته رضوان الله عليهم أجمعين فهي صفات شرعية، والثاني: أنه يجب على المؤمن أن يحرص على التحلي بهذه الصفات والدعوة إليها لأنها صفات تصلح معها الدنيا والآخرة، وأهم هذه الصفات هي:

١- **موالاة الله، ونأخذ هذه الصفة من قوله** (قُرَيْشٌ وَالأَنْصَارُ وَجُهَيْنَةُ وَمُزَيْنَةُ وَأَسْلَمُ وَأَشْجَعُ وَغِفَارُ مَوَالِيَّ لَيْسَ لَهُمْ مَوْلًى دُونَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ)

٢-**صلة الرحم.**

٣-**صدق الحديث.**

٤-**حمل الكل.**

٥-**إكساب المعدوم.**

٦-**إقراء الضيف.**

٧-**الإعانة على نوائب الحق** ونأخذ هذه الصفات الثانية، والثالثة، والرابعة، والخامسة، والسادسة، والسابعة من حديث عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ...قَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ لاَ يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ وَتَحْمِلُ الكَلَّ وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ .....

٨- **العدل في القسمة وإيثار الآخرين** ودليل هذه الصفة حديث جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ وَمَعَهُ النَّاسُ مَقْفَلَهُ مِنْ حُنَيْنٍ فَعَلَقَهُ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَةٍ فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ فَوَقَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَعْطُونِي رِدَائِي لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ ثُمَّ لاَ تَجِدُونِي بَخِيلاً وَلاَ كَذُوبًا وَلاَ جَبَانًا

٩-**حسن الصوت في قراءة القرآن** ونأخذ هذه الصفة من قولهﷺ (إِنِّي لأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ الأَشْعَرِيِّينَ بِالْقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ)

١٠-**الاجتهاد في تحصيل الإيمان** ونأخذ هذه الصفة من قولهﷺ : (لَوْ كَانَ الإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ هَؤُلاَءِ)

١١-**مداومة الأمر بالمعروف** والنهي عن المنكر ونأخذ هذه الصفة من قوله ﷺ (عَمَّارٌ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ)

١٢-**عدم التولي يوم الزحف** (نِعْمَ الحَيُّ الأَسَدُ وَالأَشْعَرِيُّونَ لاَ يَفِرُّونَ فِي القِتَالِ)

١٣- **الجرأة والفداء ونأخذ هذه الصفة من قوله ﷺ** (مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ القَوْمِ يَوْمَ الأَحْزَابِ قَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ القَوْمِ قَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا فَقَالَ النَّبِيُّ :إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ

١٤-**الحلم والأناة** لقوله عَبْدِ القَيْسِ إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الحِلْمُ وَالأَنَاةُ

١٥-**الحفاظ على الممتلكات العامة**، ونأخذ هذه الصفة من قوله ﷺ (نِعْمَ الحَيُّ الأَسَدُ وَالأَشْعَرِيُّونَ.. وَلاَ يَغُلُّونَ هُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ)

١٦- **التواضع** ونأخذ هذا الخلق من قوله ﷺ(إِنَّكَ لَسْتَ مِنْهُمْ)

١٧- **الشدة في الحق** ونأخذ هذه الصفة من قوله (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلاَّ سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ)

ب- الضوابط الشرعية للمدح في الوجه.

للمدح في الوجه ضوابط شرعية لا بد من مراعاتها وهذه الضوابط هي:

١-عدم التعرض للمدح، لأن التعرض للمدح مذموم.

من الأشياء التي لا بد للمسلم أن يرعاها في قضية المدح أن لا يتعرض للمدح، والمقصود بالتعرض للمدح أن يفعل ما من شأنه تحفيز الناس لمدحه، ذلك أن الأصل بالمسلم أن الا يكترث بمدح الناس أو ذمهم مادام يسير وفق ما أراد الله سبحانه وتعالى.

٢- أن يقول المادح إذا أراد أن يمدح أحسب أن فلانا كذا.

المادح يمدح خلقا ظاهرا له لا يستطيع أن يحدد باعث المتخلق بهذا الفعل على قيامه به، ولذلك كان عليه أن يقول أحسب أن فلانا كذا.

٣- أن يدعو إذا مُدح قال ابن بطال : وكان السلف يقولون: إذا أثني على أحدهم: اللهم اغفر لنا مالا يعلمون واجعلنا خيراً مما يظنون.

٤- أن لا يكون في المدح تفضيل يؤدي إلى الانتقاص من الآخرين.

يؤدي المدح لبعض الناس في بعض الأحيان إلى الإنتقاص من الآخرين، كأن يشترك عشرة أشخاص في فعل ما، ثم يأتي المسؤول ويسلط الضوء على بعض من قاموا بالفعل وينسى الباقين، ففي هذه الحالة يحصل انتقاص من لم يمدح، والمادح في مثل هذه الحالة مجانب للحق والصواب يجب عليه تجنب هذا السلوك.

٥- أن لا يؤدي المدح إلى الخصومة والغيرة بين الأبناء.

يجب التوازن في قضية المدح بحيث أن الأب يراعي مشاعر باقي الأبناء ذلك أن المدح إذا بولغ فيه وكرر وكان التركيز على ابن من الأبناء أدى إلى نتيجة سلبية وفي مثل هذه الحالة يوجه الأب بأن يعدل بين الأبناء في المدح كما يعدل بينهم بالقسمة، إذ المقصود من المدح البناء لا الهدم.

٦- ان لا يؤدي المدح إلى الغيرة بين الزوجات

لمدح الزوجة في الوجه أثر إيجابي كبير على تقوية العلاقات الأسرية، ولكن وفي حال تعدد الزوجات يجب أن يراعي الزوج في قضية المدح أن لا تؤدي إلى الغيرة والخصومة بين الزوجات.

٧- أن لا يبالغ في المدح بحيث يصل إلى درجة الإطراء.

المبالغة في المدح جائزة بدليل قوله (لَوْ كَانَ الإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ هَؤُلَاءِ) هذا وقد عقب النووي على هذا الحديث فقال: فيه فضيلة ظاهرة لهم وجواز استعمال المجاز والمبالغة في مواضعها .هذه المبالغة إن زادت عن حدها وصلت إلى الإطراء والإطراء منهي عنه.

ج- الفرق بين المدح في الوجه وغيره من المسميات.

ومن خلال التعريف الذي اعتمدناه للمدح في الوجه نستطيع التفريق بين المدح في الوجه وغيره من المسميات، وبداية أقول أن المدح في الوجه يشترك مع غيره من المسميات أحيانا، وأحياناً نجد أن المسميات الأخرى هي عبارة عن صورة من صور المدح في الوجه، سواء كان المدح في الوجه مشروعا أم غير مشروع، بناءً على ذلك نستطيع القول أن المدح في الوجه هو المظلة الشاملة لجميع المسميات الأخرى، ويتغير هذا الإسم بتغير الباعث للمدح وصدقه، وضوابطه، فالإطراء: المدح بالباطل مع المبالغة فيه، والمداراة: ملاينة الناس وحسن صحبتهم واحتمالهم لئلا ينفروا عنك، فالمداراة مدح في الوجه أو في غير الوجه وهدف المداراة أن لا ينفر الناس عن الشخص وقد يكون هدفها دنيوي وقد يكون أخروي وهو الأصل، أما التقية فالمدح في الوجه صورة من صورها وهدفها إبراز الود مع إخفاء غيره، أما المسميات المعاصرة للمدح في الوجه فهدفها في الغالب المنفعة الدنيوية، بغض النظر عن الضوابط الدينية.

أما التفصيل في المسألة فالمدح في الوجه كما عرفناه: الثناء على الإنسان بحضوره بصفات لغاية.وبهذا التعريف قد يكون المدح في الوجه جائزاً وقد يكون حراماً، الجائز من المدح في الوجه نستطيع أن نطلق عليه، مداراة، مدح، ثناء، وإذا كان حراما نستطيع أن نطلق عليه، نفاق، تقية، مداهنة.

أما المداهنة فهي: إظهار خلاف ما يضمر.، والتقية: من وقى، واتقيت الشيء حذرته، والتقاة بمعنى واحد، إظهار الصلح والاتفاق، والباطن خلاف ذلك. والمداراة، ملاينة الناس وحسن صحبتهم، واحتمالهم لئلا ينفروا عنك . والنفاق: ستر الكفر وإظهار الإيمان.

الفصل الرابع: الآثار التربوية والاجتماعية المترتبة على المدح في الوجه

المبحث الأول: الآثار التربوية(التعزيز المباشر): .

تعرض علماء التربية قديماً وحديثاً لقضية المدح في الوجه، واعتبروا أن المدح في الوجه من البواعث التي تبعث في الطالب روح الاجتهاد وطلب المزيد من العلم، ولم يقتصر أثر المدح في الوجه عندهم على الطالب المجتهد فحسب بل اعتبروا أن أثر هذا المدح يمتد إلى الطلبة الآخرين فيبعثهم على الاجتهاد وطلب المزيد أيضا، وأنه يبعث روح المنافسة بين التلاميذ مما ينعكس إيجابا على العملية التربوية، هذا ومن الجدير ذكره أن علماء التربية يطلقون على المدح في الوجه (التعزيز المباشر) وقد ذكرت الآثار المترتبة على التعزيز المباشر في العملية التربوية بنقاط، وهي:

١- إدامة السلوك المرغوب فيه.

ليس من الأمر السهل أن تنشئ أي أمة منظومة سلوكية خاصة بها تتفق مع عقائدها ومبادئها، والأمر الأصعب من إنشاء هذه المنظومة السلوكية أن نضمن استمرارية وتطوير هذه المنظومة، ولقد كان المصطفى بارعا في إيجاد هذه المنظومة المتجانسة السامية وكذلك كان بارعا في إدامتها ومن الأساليب الناجحة التي استخدمها المصطفى في إدامة هذه المنظومة المدح في الوجه، إن المدح في الوجه وخاصة إذا كان من القائد العظيم محمد يعني الكثير ولقد كان لهذا المدح الأثر الكبير في تعزيز المنظومة السلوكية التي جاء بها المصطفى .

٢- تحديد الصفات الممدوحة.

من خلال الأحاديث النبوية التي درسناها نلاحظ قضية في غاية الأهمية، ألا وهي قضية تحديد الصفات الممدوحة، هذه القضية حرية بالدراسة ففي كثير من الأحاديث التي ورد المدح فيها، كانت تذكر فيها صفات معينة، هذا وقد أفردت مطلبا للصفات الممدوحة في الحديث النبوي الشريف، لكن ما يعنينا هنا هو قضية التحديد، وفي التحديد صدق ذلك أننا نمدح صفات بعينها أما إذا مدح الإنسان بشكل عام فصدق المدح يتضاءل، ذلك أنه لا يمكن لأي شخص أن يطلع على آخر ويحدد أن كل ما فيه حسن، وفي التحديد من الدقة ما ليس في التعميم، ومن التشجيع والتنمية للصفات الممدوحة ما لا يمكن أن يكون بغيره، حيث إنه إذا مدح شخص بشكل عام، فلا يمكن للممدوح ولا للسامع أن يحدد الصفة الممدوحة وبالتالي فلا نستطيع بالمدح العام تنمية ما نريد من الصفات، كذلك فإن مدح الإنسان بشكل عام يؤدي إلى إشكال ألا وهو أننا عندما نمدح إنساناً بشكل عام فقد يظن هذا الإنسان أن كل ما فيه مقبول، ولكن التحديد يخرجنا من هذا الإشكال، مثال ذلك قوله حديث: (إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الحِلْمُ وَالأَنَاةُ) ففي هذا الحديث حدد النبي صلى لله عليه وسلم الصفات الممدوحة، أما الملاحظة الثانية فهي أن النبي صلى الله عليه وسلم اختار هاتين الصفتين ولا يعقل أن هذا الرجل لا توجد فيه غير هاتين الصفتين، وفي اختياره صلى الله عليه وسلم لهاتين الصفتين دليل على أن الإنسان إذا أراد المدح فليمدح بصفات مناسبة للموقف، كذلك أن يمدح صفات لها أثر في تنمية خلق يتعلق بالموقف.ومثال آخر قوله صلى الله عليه وسلم(نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنْ اللَّيْلِ) فتحديد الصفة الممدوحة أمر في غاية الأهمية، فإذا ما أراد إنسان أن يمدح آخر فليمدحه بصفات معروفة وليكن الهدف واضحاً من المدح.

٣- التعزيز المباشر يبعث الطلبة على الاجتهاد وطلب المزيد.

يتطرق الملل والكسل لنفس الطالب أثناء العملية التربوية، وفي مثل هذه الحالة فإن التعزيز المباشر من الحلول الناجعة في الغالب، إذ أنه عبارة عن تحفيز وتحريك للطلبة، هذا التحفيز من شأنه أن يبعد الملل والكسل عن الطلاب، يقول ابن جماعة - في ذكره لآداب العالم مع طلبته مطلقاً في حلقته وهو أربعة عشر نوعاً-الثامن: أن يطالب الطلبة في بعض الأوقات بإعادة المحفوظات ويمتحن ضبطهم لما قدم لهم من القواعد المهمة، والمسائل الغريبة، ويختبرهم بمسائل تبنى على أصل قرره، أو دليل ذكره.فمن رآه مصيبا في الجواب ولم يخف عليه

شدة الإعجاب شكره وأثنى عليه بين أصحابه ليبعثه وإياهم على الاجتهاد في طلب الازدياد. نلاحظ من النص السابق أن علماء التربية قديما قد نبهوا إلى قضية مهمة ألا وهي أن المدح في الوجه لا يكون على إطلاقه بل يقيد بأنه لا يكون للطلبة الذين يخشى عليهم شدة الإعجاب وبالتالي التكبر والفتور عن طلب العلم. والمدح في الوجه نوع من أنواع الثواب عند علماء التربية، حيث يعرفون الثواب بأنه أثر يتبع الأداء أو الاستجابات ويؤدي إلى الشعور بالرضى والارتياح، وتتمثل حالة الرضى والارتياح في سعي المتعلم للحصول على هذا المثير والاحتفاظ به.

ثم هم يعتبرون أن المدح في الوجه عبارة عن تعزيز إيجابي يعتمد على استخدام المكافأة والمديح عند إنجاز مهمة ما كوسيلة لدفع الطالب على إبقاء ما تحصل عليه، وعلى حفزه على النماء وطلب المزيد .وسمي هذا النوع من التعزيز بالتعزيز الإيجابي للبعد عن اللوم والتعنيف.

٤- التخلص من ممارسات خاطئة لدى الطلاب.

الكمال لله سبحانه وتعالى ولا معصوم إلا الأنبياء وبالتالي فإن لدى أي طالب من الممارسات الخاطئة الكثير، ومن الأهداف الأساسية للعملية التعليمية تحجيم هذه الممارسات الخاطئة، ولا أقول التخلص منها لأن التخلص من الممارسات الخاطئة يعني أن يصل الطالب إلى مرتبة العصمة، وهذا محال ولكن نحن نسعى إلى تحجيم الممارسات الخاطئة ما استطعنا، والمدح في الوجه من الأسباب التي تساعد الطالب الممدوح في التخلص من الممارسات الخاطئة، ذلك أن المدح وفي الغالب يعزز الجانب الإيجابي عند الطالب، والجانب الإيجابي في النفس الإنسانية أشبه ما يكون بالمناعة في الجسم، إذا استطعنا تعزيز المناعة في جسم الإنسان فإن ذلك يعني أن هذا الجسم قادر على القضاء على أمراض كثيرة دون أن نقصد مرضا بعينه، وكذلك تعزيز الجانب الإيجابي في النفس الإنسانية بالمدح في الوجه يساعد على التخلص من كثير من الأمراض القلبية دون أن نقصد مرضا بعينه، لقد عد المصطفى قول المسلم لأخيه المسلم العاصي أخزاك الله تعزيز للسلبية في النفس الإنسانية وإعانة للشيطان عليه ونهى عنه فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ قَالَ اضْرِبُوهُ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِهِ وَالضَّارِبُ بِنَعْلِهِ وَالضَّارِبُ بِثَوْبِهِ فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ أَخْزَاكَ اللَّهُ قَالَ لَا تَقُولُوا هَكَذَا لَا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ

مما سبق نخلص إلى أن المدح في الوجه يساعد على تنمية الإيجابية في نفس الطالب وبالتالي التخلص من الممارسات الخاطئة.

٥-التأكيد على الأسئلة المهمة للفت نظر السامع والسائل.

السؤال هو الأداة التي يستخدمها الطالب كوسيلة لتحصيل المعرفة، ولأهمية السؤال في العملية التربوية يجب على المعلم الإهتمام به بتقييمه، ويكون التقييم بمدحه إذا كان مساعدا في تعزيز العملية التربوية، وتقويمه إذا لم يساعد في العملية التربوية، وهذا الأسلوب التربوي يحقق أكثر من هدف، فهو يعلم الطلاب طريقة السؤال الصحيحة، وكذلك فهو يلفت نظر السامع لهذا السؤال، ولقد تميز النبي في هذه القضية فعن مُعَاذِ ابْنِ جَبَلٍ قَالَ كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنْ النَّارِ قَالَ لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا ..إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ نلاحظ هُنا أن النبي قد لفت أنظار الصحابة رضوان الله عليهم لسؤال معاذ بقوله(لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ) ومثال آخر على استحسانه لأسئلة الصحابة رضوان الله عليهم ما روي عن أبي أَيُّوبَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا عَرَضَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي سَفَرٍ فَأَخَذَ بِخِطَامِ نَاقَتِهِ أَوْ بِزِمَامِهَا ثُمَّ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي بِمَا يُقَرِّبُنِي مِنْ الْجَنَّةِ وَمَا يُبَاعِدُنِي مِنْ النَّارِ قَالَ فَكَفَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ نَظَرَ فِي أَصْحَابِهِ ثُمَّ قَالَ لَقَدْ وُفِّقَ أَوْ لَقَدْ هُدِيَ ...الحديث

٦- ضرورة توجيه المدح للطالب المجتهد.

المدح في الوجه عبارة عن مكافأة لطالب قام بسلوك مرغوب به تربويا لذلك يجب أن يوجه المدح في الوجه للطالب المجتهد، كي يتشجع هذا الطالب المجتهد، ولقد كان نهج المصطفى أن يكافئ الجاد وأن توجه هذه المكافأة للجاد لا لغيره ولا للمجموعة التي ينتمي إليها هذا الجاد وهذا الكلام لا ينافي المدح الجماعي، أما علماء التربية حديثا فيعتبرون أن المدح من المكافآت، يقول ونغ: إن أفضل مكافأة هي التعبير عن الرضى والارتياح عند أداء الواجب أو العمل بإتقان وبشكل متميز.

وقد حدد ونغ بعض الإقتراحات لمنح المكافآت فذكر من هذه الاقتراحات: امتداح الفعل الذي قام به الطالب وتشجيع الطالب نفسه.

٧- ضرورة مدح الطلاب للمعلم في وجهه.

لا تقتصر الآثار الإيجابية للمدح في الوجه في العملية التربوية على الطالب، بل تتعداه إلى المعلم، ولقد امتدح أصحاب النبي نبيهم ولم ينكر عليهم وهذا جزء من رد المعروف أو رد بعض المعروف، فمدح الطالب لأستاذه فضلا على أنه ردا لبعض المعروف، فإن له من الفائدة الكبيرة على المعلم إذ أن هذا المدح يزيد من عطاء الأستاذ لطلابه، وكذلك فإنه يؤدي إلى زيادة انتماء المعلم لطلابه وهذا له أثره الإيجابي الكبير على العملية التربوية، أما علماء التربية فلم يقتصروا كذلك على أهمية مدح الأستاذ لطلابه بل نبهوا أيضاً على ضرورة مدح الطلاب لأستاذهم معتبرين أن العملية التعليمية تتكامل بطرفيها المعلم والطلاب، وتنبع أهمية مدح الطالب لأستاذه أن هذا المدح يبعث الأستاذ لاعتناء أكبر بالطلبة، فالمدح في الوجه هنا عامل في غاية الأهمية لزيادة عطاء الأستاذ فهو -أي المدح في الوجه- عبارة عن مكافأة معنوية للأستاذ من طلابه.

يقول ابن جماعة: في ذكره لآداب الطالب مع شيخه: السادس: أن يشكر الشيخ على توفيقه على ما فيه..فإن ذلك أمثل إلى قلب الشيخ

وأبعث على الاعتناء بمصالحه.

٨- ألفاظ التعزيز التي استخدمها النبي .

استخدم النبي ألفاظا كثيرة للمدح في الوجه مثل: (الطَّيِّب المُطَيَّب)وغيرها من الألفاظ والذي يهمنا من هذا الأثر أن الألفاظ التي يمكن للمعلم استخدامها في قضية التعزيز المباشر، أو المدح في الوجه مفتوحة بشرط أن تكون ألفاظاً مشروعة، أما المعززات اللفظية عند علماء النفس فيعتبرها علماء التربية جزءا من المعززات الاجتماعية ويمثلون عليها بـ: أحسنت، عظيم، إنك ذكي، فكرة رائعة، ....

ثم هم يعتبرون أن الثناء معزز ذو تأثير بالغ في سلوك الإنسان وهو كذلك مثير طبيعي إذ أنه من أكثر المعززات شيوعا في الحياة اليومية فهو بالتالي من أكثر المعززات قبولا.

٩- أن المدح في الوجه لا يكون عاما مطلقاً.

المدح في الوجه له ضوابطه التي تقدم البحث فيها لذلك يجب على المعلم أن يتقيد بهذه الضوابط الشرعية للمدح في الوجه، ومن الجدير بالذكر هنا أن علماء التربية وضعوا قيدين على هذا الثناء وهما :

١-تجنب العبارات المبتذلة.

٢- تجنب التكرار المبالغ فيه.

ثم وضعوا البديل لذلك هو أن نقول عبارات وكلمات متنوعة، وبطريقة طبيعية بصدق وحماس.

١٠- ضرورة استخدام الدعاء في العملية التربوية.

لقد استخدم النبي الدعاء مع أصحابه وأكثر ما استخدمه مع الأطفال فقد دعا لابن عباس ، ودعا للحسن ، ودعا للحسين ، ودعا لأنس بن مالك وهوابن ثماني سنين، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أهمية الدعاء في العملية التربوية، إنه يعني الحرص التام من القائد بالاستعانة بالله تعالى أن يكون النشؤ من الصالحين، هذا وقد ارتأيت أن الدعاء هو عبارة عن مدح في الوجه لأنه دليل رضى ولأنه يعني أن المدعو له وخاصة من قبل النبي ذو مكانة خاصة، والدعاء من إشارات الاستحسان من القائد فهو إعلان رضى للفعل.

١١- ضرورة ربط الطلاب بالله.

من الأمور التي امتدحها المصطفى في أصحابه رضوان الله عليهم موالاة الله فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُرَيْشٌ وَالأَنْصَارُ وَجُهَيْنَةُ وَمُزَيْنَةُ وَأَسْلَمُ وَأَشْجَعُ وَغِفَارُ مَوَالِيَّ لَيْسَ لَهُمْ مَوْلًى دُونَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فيجب على المدرس أن يحرص كل الحرص على ربط الطلاب بالله سبحانه وتعال.

١٢- ضرورة أن يعلن الأستاذ عن حبه وانتمائه للمنظومة التعليمية.

وهذا الأثر نستفيده من مجموعة أحاديث منها: حديث عمار(ائْذَنُوا لَهُ مَرْحَبًا بِالطَّيِّبِ الْمُطَيَّبِ)، وحديث(لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلا مِنْ أُمَّتِي لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلامِ وَمَوَدَّتُهُ لاَ يُبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلاَّ سُدَّ إِلاَّ بَابُ أَبِي بَكْرٍ)، من خلال هذه الأحاديث وغيرها نلاحظ أن النبي كان يعلن حبه وانتمائه لأصحابه بمدحهم والثناء عليهم، لذلك فيجب على المعلم أن يعلن للطلاب أنه يحبهم وينتمي إليهم، ويؤثر هذا الأمر تأثيراً إيجابياً على العملية التربوية.

١٣- ضرورة استطابة قلب الطالب.

أثناء سير العملية التربوية يقع بعض الطلاب في مشاكل فيجب على المعلم في مثل هذه الحالة أن يستطيب قلب الطالب المصاب بمدحه، ندلل على هذا الأثر من الحديث (لَوْ سَلَكَتْ الأَنْصَارُ وَادِيًا أَوْ شِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ أَوْ شِعْبَهُمْ).

١٤- أن يقدم سؤال الطالب لأستاذه بعبارة يمتدحه فيها.

دأب الصحابة على تقديم طلبهم من رسول الله بعبارات تدل على ذوقهم الرفيع مثل جعلنا الله فداءك، وغيرها من العبارات، وأرى هنا أنه من المستحسن أن يقدم الطالب سؤاله للمعلم بعبارة فيها ثناء على المدرس.

١٥- ضرورة المدح الجماعي للصف أو المجموعة التعليمية.

المدح الجماعي للصف أو للوحدة التعليمية أمر في غاية الأهمية هنا وقد مدح النبي أقواما في وجوههم، كما بينا سابقا من مدحه للأنصار وللمهاجرين، وللمدح الجماعي أثره الإيجابي على العملية التربوية.

الآثار الاجتماعية المترتبة على المدح في الوجه:

المجتمع من الاجتماع وحتى يتم هذا الاجتماع فلا بد من عناصر كثيرة توجد هذا الاجتماع، ثم لا بد من عناصر أخرى تديم هذا الاجتماع، وأرى أن من أهم العناصر التي تديم هذا الاجتماع هو عنصر المدح في الوجه، المدح لا لذات المدح إنما لما يترتب عليه، ويكون المدح على الصفات الجيدة والأخلاق الحميدة والمكارم حتى تُنمى، وحتى يشعر الفرد بالانتماء إلى هذا المجتمع، المدح لكي يستمر الخير، المدح للالتزام بمبادئ هذا الإسلام العظيم، وقد قسمت هذه الآثار إلى:

أ- الآثار الاجتماعية على مستوى المجتمع. ب- الآثار الاجتماعية على مستوى العائلة.

ب- الآثار الاجتماعية على مستوى المجتمع.

١- التجرد في المدح.

النية في ديننا الحنيف من الأمور التي لا تفارق الأعمال أبدا، فهي تحكم عليها ثم يكون بناء عليها القبول أو الرد، والمدح في الوجه عمل لساني لا بد له من نية خالصة لوجه الله الكريم، وهذا ما أقصده بالتجرد، وبالنظر إلى الأحاديث الواردة نلاحظ أنها تركز على هذه القضية حيث إنه إذا اعترى المدح منفعة ذاتية بحتة سواء للمادح أو الممدوح حَرُم هذا الفعل، أما إذا كان المدح خالصا لوجه الله الكريم ثم لمنفعة المسلمين جاز وبلا خلاف، فيجب على المسلم إذا مدح أن يراعي هذا الحكم، وفي رعاية المسلم للتجرد في كل أفعاله دليل قوي على سمو هذا الدين بكل ما فيه.

٢- أهمية الأخلاق الحميدة وأن هذا الدين منبع هذه الأخلاق.

من الدواعي الأساسية لجواز استخدام المدح في الوجه تنمية الأخلاق الحميدة، وهذا إن دل فإنما يدل على أهمية الأخلاق في بناء المجتمع، ولقد استخدم النبي جميع الوسائل المشروعة لتنمية الأخلاق الحميدة، ومن هذه الوسائل المدح في الوجه على الأخلاق الحميدة لتنميتها، والناظر في الصفات التي أمتدحت في جميع الأحاديث السالفة، يدرك أنها من جملة الأخلاق الحميدة، فيجب على المسلم أن يهتم بهذه الأخلاق ويمدح صاحبها في وجهه لاستدامتها.

٣- تحديد الصفات الممدوحة.

سبق وأن تحدثت عن تحديد الصفات الممدوحة في الآثار التربوية للمدح في الوجه وكذلك الأمر في الآثار الاجتماعية فإن تحديد الصفات الممدوحة أمر في غاية الأهمية من حيث إننا في المدح في الوجه نتعامل مع صفات محددة نريد تعزيزها من أجل استدامتها، وضرورة تحديد الصفات الممدوحة على قدر أكبر من الأهمية في الناحية الاجتماعية ذلك أن المدح في الوجه في النواحي الاجتماعية منتشر بكثرة ويتمثل هذا مع الأبناء وفي الأسرة وبين الرعية والراعي لذلك فتحديد الصفات الممدوحة أمر في غاية الأهمية والناظر إلى الأحاديث المعروضة يلاحظ أن المصطفى وفي كثير من الأحيان كان يحدد الصفات الممدوحة.

٤- ضرورة بيان عاطفة الحب وإعلانها.

من الأمور المزعجة في مجتمعنا وخاصة في هذه الأيام أن هناك إحجاماً عن بيان عاطفة الحب وإعلانها وهذا الإحجام هو إحجام على مستوى المجتمع ثم على مستوى العائلات فالجيران لا يعلنون عاطفة الحب لجيرانهم، ثم الأصدقاء فلا ترى الصديق يمدح صديقه أو يعلن له هذه العاطفة، وكذلك الدعاة إلى الله تعالى، ولهم نصيب الأسد من ذلك التقصير فهم أبعد الناس عن ذلك، حتى أن البعض منهم يعد هذا نفاقا في الوقت الذي كان فيه أسوتنا يبين هذه العاطفة ويعلنها ونمثل لذلك بما روي عن علي ف أنه قَالَ جَاءَ عَمَّارٌ يَسْتَأْذِنُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ ائْذَنُوا لَهُ مَرْحَبًا بِالطَّيِّبِ الْمُطَيَّبِ، إن من أهم العوامل التي يجب رعايتها إعلان عاطفة الحب وبيانها فيجب الاهتمام بها.

٥- بيان مآثر الآباء إذا كانت مشروعة

جاء الإسلام والعرب تتفاخر بآبائها وأجدادها، وكان موقف الإسلام أنه لم يلغ ذلك تماما بل هذب هذه الصفة، فإذا كانت غير مشروعة فلا يجوز الافتخار بها، وإذا كانت الأخلاق مشروعة فيجوز الافتخار بها، فيجوز الافتخار بكرم الآباء والأجداد وغيرها من الأخلاق الحميدة بضابط تشجيع الغير عليها، ثم أن يؤثر اتصاف الآباء والأجداد على الأحفاد أما أن يفتخر الإنسان ويتسلى بمناقب آبائه وأجداده وهو أبعد الناس عنها فهذا افتخار المقصر بما يبرر تقصيره، ولبس المقصر عباءة غيره وهذا مما لا يجوز، ثم أنه من الجائز مدح أب الرجل أو جده بجميل أفعاله وبأخلاقه الحميدة لكي يحفز المادح الممدوح أن يتخلق بأخلاقهم، والدليل على هذا ما روي عن غَيْلَانُ بْنُ جَرِيرٍ قَالَ قُلْتُ لِأَنَسٍ أَرَأَيْتَ اسْمَ الْأَنْصَارِ كُنْتُمْ تُسَمَّوْنَ بِهِ أَمْ سَمَّاكُمْ اللَّهُ قَالَ بَلْ سَمَّانَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كُنَّا نَدْخُلُ عَلَى أَنَسٍ فَيُحَدِّثُنَا بِمَنَاقِبِ الْأَنْصَارِ وَمَشَاهِدِهِمْ وَيُقْبِلُ عَلَيَّ أَوْ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَزْدِ فَيَقُولُ فَعَلَ قَوْمُكَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا... قال ابن حجر: أي يحكي ما كان من مآثرهم في المغازي ونصر الإسلام.

٦- أثر الدعاء وأهميته.

الدعاء مدح وإن له من الأثر الطيب ما يعود بالنفع للداعي، وللمدعو له ولقد كان يدعو لأصحابه، ويدعو لمن طلب منه الدعاء، وللدعاء أهمية كبيرة في العلاقة بين الناس وبين الزوج وزوجته والجار وجاره والصديق وصديقه إنه يعبر عن عاطفة الحب وأن الداعي يحب الخير للمدعو له. ونمثل له بما روي عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ قَالَتْ أُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ خَادِمُكَ أَنَسٌ ادْعُ اللَّهَ لَهُ قَالَ اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ.

٧- ضرورة تقديم واختتام المحادثات أو المعاملات بين الناس بالمدح أو الدعاء.

من معالم سنته أنه كان يستخدم المدح في الوجه مقدمة لكلامه، ويثني على الناس وفي هذا الأسلوب تحفيز كبير للسامع، كما أنه من دواعي القبول ومن شأن هذا المنهج إزالة العداوة إن وجدت أو إزالة التصور السلبي السابق إن وجد، تخيل أن جارا لك جاء إليك وكان يريد الخصومة والشر وعندما قابلت جارك قابلته بقولك أهلا بالجار الوفي أهلا بالجار الكريم فهل تظن أنه سيبقى من العداوة أو الخصومة شيء، كذلك فإن هذا الأسلوب يعزز الأخوة بين الأصدقاء ونمثل لذلك بما روي عَنْ عَلِيٍّ أنه قَالَ جَاءَ عَمَّارٌ يَسْتَأْذِنُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ ائْذَنُوا لَهُ مَرْحَبًا بِالطَّيِّبِ الْمُطَيَّبِ قَالَ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

٨- ضرورة الرفق بالجاهل وتعليم الفاسق بالكلمة اللينة، وأهمية المدح في تعليم الجاهل أو الفاسق.

الجاهل أو العاصي إذا مدح لا يمدح بمعصيته بل يمدح بغيرها من جميل صفاته وأفعاله، ثم يبين له أن هذه الصفات الكريمة لا يستحسن معها المعصية، ولا يمكن أن تكون مع اتصافك بهذه الصفات الكريمة أن تكون عاصيا لله تعالى وللمدح في الوجه في كثير من الأحيان أثر طيب في تغيير السلوك الخاطئ، فإذا وصل المسلم إلى أن مدح العاصي يغير سلوكه فيجب عليه مدحه لله وفي الله لا لمصلحة دنيوية والله تعالى أعلم.

٩- ضرورة استطابة القلوب ومراعاة المصابين وتطمين المريض أو المحتضر ليحسن ظنه بالله.

وندلل لهذا بما روي عن ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ اسْتَأْذَنَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَبْلَ مَوْتِهَا عَلَى عَائِشَةَ وَهِيَ مَغْلُوبَةٌ قَالَتْ أَخْشَى أَنْ يُثْنِيَ عَلَيَّ فَقِيلَ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ وُجُوهِ الْمُسْلِمِينَ قَالَتْ ائْذَنُوا لَهُ فَقَالَ كَيْفَ تَجِدِينَكِ قَالَتْ بِخَيْرٍ إِنْ اتَّقَيْتُ قَالَ فَأَنْتِ بِخَيْرٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ زَوْجَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَنْكِحْ بِكْرًا غَيْرَكِ وَنَزَلَ عُذْرُكِ مِنْ السَّمَاءِ وَدَخَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ خِلَافَهُ فَقَالَتْ دَخَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَأَثْنَى عَلَيَّ وَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ نِسْيًا مَنْسِيًّا

وبما روي عَنْ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ قَالَ لَمَّا طُعِنَ عُمَرُ جَعَلَ يَأْلَمُ فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَكَأَنَّهُ يُجَزِّعُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَئِنْ كَانَ ذَاكَ لَقَدْ صَحِبْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُ ثُمَّ فَارَقْتَهُ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ ثُمَّ صَحِبْتَ أَبَا بَكْرٍ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُ ثُمَّ فَارَقْتَهُ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ ثُمَّ صَحِبْتَ صَحَبَتَهُمْ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُمْ وَلَئِنْ فَارَقْتَهُمْ لَتُفَارِقَنَّهُمْ وَهُمْ عَنْكَ رَاضُونَ قَالَ أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرِضَاهُ فَإِنَّمَا ذَاكَ مَنٌّ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى مَنَّ بِهِ عَلَيَّ وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ صُحْبَةِ أَبِي بَكْرٍ وَرِضَاهُ فَإِنَّمَا ذَاكَ مَنٌّ مِنْ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ مَنَّ بِهِ عَلَيَّ وَأَمَّا مَا تَرَى مِنْ جَزَعِي فَهُوَ مِنْ أَجْلِكَ وَأَجْلِ أَصْحَابِكَ وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ لِي طِلَاعَ الْأَرْضِ ذَهَبًا لَافْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَ أَنْ أَرَاهُ من الأمور التي يغفل عنها المسلمون في أيامنا هذه قضية استطابة القلوب فالمسلمون في هذه الأيام قساة حتى في تبليغ دعوة تعاليله ولقد تمثل المصطفى هذا الخلق الكريم حيث إنه كان يراعي مشاعر الناس حتى لو كانت هذه المراعاة على حساب انتمائه الجغرافي أنظر إلى قوله (لَوْ أَنَّ الْأَنْصَارَ سَلَكُوا وَادِيًا أَوْ شِعْبًا لَسَلَكْتُ فِي وَادِي الْأَنْصَارِ وَلَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الْأَنْصَارِ) والرسول حين يفعل ذلك يعلمنا أن الفرد المسلم له أولية وأولوية على كل شيء ، وكذلك حديث عائشة(إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ)

فلا بد للمسلم من تأنيس من حصلت له مخافة من أمر وتبشيره، وذكر أسباب السلامة له بمدحه بجميل أفعاله وصفاته.

١١- ضرورة الحفاظ على الممتلكات العامة.

ونقصد بالممتلكات العامة: كل ما يشترك الناس بالاستفادة منه، فلا يجوز العبث بها أو الاعتداء عليها لا من المسؤول ولا من الشعب، ولا تحت أي عنوان مهما كان ودليل هذا الأثرمن قوله (نِعْمَ الْحَيُّ الْأَسْدُ وَالْأَشْعَرِيُّونَ لَا يَفِرُّونَ فِي الْقِتَالِ وَلَا يَغُلُّونَ هُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ (فقد مدح الأشعريين بأنهم لا يغلون والغلول اعتداء على الأموال العامة، وفي هذا توجيه للمسلمين في كل زمان ومكان أن لا يعتدوا على الممتلكات العامة.

ب-الآثار الاجتماعية على مستوى العائلة.

للمدح في الوجه

١- ضرورة استخدام المدح في الوجه وأثره في توثيق الترابط الأسري.

من الأمور اللافتة للنظر في مجتمعنا هذه الأيام التفتت الأسري، وتتمثل مظاهر التفتت الأسري بأن العلاقات بين أفراد الأسرة غير مرضية، فالعلاقات بين الزوج وزوجته بين الأبوين وأبناءهم ضعيفة، وأرى في هذا المجال أن المدح في الوجه من العلاجات الناجعة لهذا الخلل، فأنت ترى الفرق بين زوجة لا تمدح زوجها البتة وبين زوجة تديم مدح زوجها، كذلك الامر بالنسبة للزوج مع زوجته ومدح الزوج لزوجته أمر في غاية الأهمية، إن الكثير من المشاكل بين الزوجين يمكن حلها بالمدح والبعد عن المدح في الوجه سبب لكثير من المشاكل الأسرية، أما العلاقة بين الأبناء والآباء فالمدح مفتاح سحري للكثير من المعضلات وله أثره الطيب في تعزيز الصفات المرغوبة لدى الأبناء وهو أكبر معين لبر الوالدين.

٢- تطمين الزوج بجميل صفاته عند حدوث أمر سيئ.

يتعرض الإنسان في حياته إلى حوادث لا يرغبها، هذه الحوادث تؤثر على نفسيته ويحتاج في مثل هذه الحوادث إلى من يقف إلى جانبه، ومن أقرب الناس إلى الزوج زوجته فلا بد لها أن يكون لها موقف في تخفيف وقع المصاب، ويكون هذا بمدحه بوجهه بجميل صفاته، وهذا المدح له الأثر الكبير في التخفيف من حدة المشكلة، ونستفيد هذا الأثر من الحديث: (كَلاَّ أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ لاَ يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ).

٣- أن تقدم الزوجة أو الزوج أو الابن طلبه بمقدمة فيها مدح وثناء.

من المجاملات التي لا بد منها على مستوى العائلة أن يقدم الخطاب بمدح ويختم بمدح، وهذا الأسلوب دليل قوي -إن ربي الأبناء عليه- على عمق العلاقات وقوتها داخل الأسرة، وإنها بالنسبة للأب وللأم وللأبناء مؤشر إيجابي يساعد في تمرير الكثير من القضايا، دون وجود أي نوع من الحساسية، إن تعويد الأبناء على صيغة إملاء الأوامر على آبائهم أمر في غاية الخطورة وتتمثل خطورة هذا الأمر

عندما يكبر الأبنا حيث يعتقدون ومع مرور الزمن أن لهم سلطة على آبائهم وبالتالي يجب تنفيذ أوامرهم ورغباتهم، فلا بد من تعويد الأبناء على ضرورة تقديم الطلبات وختمها بالمدح والثناء.

الخاتمة:

وأذكرها على شكل نقاط:

١- المدح في الوجه جائز بشروط، وإن انتفت هذه الشروط فمنهي عنه.

٢- للمدح في الوجه ضوابط لا بد من التقييد بها.

٣-ضرورة تحديد الصفات المدوحة لتنميتها واستدامتها في المجتمع.

٤- للمدح في الوجه آثار تربوية في غاية الأهمية.

٥- للمدح في الوجه آثار اجتماعية لا يمكن بحال تجاهلها.

٦- أوصي بأن يبحث موضوع المدح بشكل عام في الحديث النبوي الشريف من خلال رسالة ماجستير أو دكتوراة والمادة العلمية في هذا الموضوع كافية لذلك.

والحمد لله رب العالمين